فريق المدى مع محنة اللاجئين

قالوا المال في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة، وهناك حيث لا مجال للفرح ولا هدنة مع الحزن، وجدت أكثر من ضياع وأقسى من لوعة في عيون ضيّعت مجبرة المال والوطن، المكان: العراق، الموقع: قضاء القائم الحدودي في محافظة الأنبار، الزمان: بعد ليلة من هروب العوائل من مدفعية وصواريخ البعث الأسدي إلى مواقع الحجز كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجراً حين انطلقت بفريق "المدى" عجلة المؤسسة صوب مركز القائم الحدودي، كنت والزميلين محمود رؤوف وطارق العزاوي أسرع من إطارات العجلة لهفةً للقاء من هجرتهم قنابل الموت البعثي، وبعد ٤٢٠ كم من الانطلاق وهي المسافة الفاصلة بين العاصمة بغداد وقضاء القائم وصلنا إلى ضالتنا.

□ القائم / يوسف المحمداوي.. تصوير / محمود رؤوف

ضحايا الأسد بانتظار رحمة المالكي

النساء يتبرعن بحليهن.. وتسابق عشائري لخدمة اللاجئين

تنافس في التبرع

توجّس في غير محله

لا اخفي عليكم توجسي من نقاط التفتيش المنتشرة والمتأهبة على طول الطريق الفاصل بين بغداد مركز قرار مصير المحتجزين وبين مركز احتجازهم، ومصدر ذلك التوجس هو الأخبار التي سمعتها قبل السفر إلى هناك، والتي تشير إلى عدم السماح للإعلام بزيارة اللاجئين والاطلاع على أوضاعهم، ولكن ما لاحظناه هو العكس تماما، لأننا وجدنا تعاونا جديا وحرصا كبيرا من قبل تلك النقاط في تسهيل مهمة وصولنا لضالتنا، ولكن... وآه كم هي موجعة حين تأتي بغير مكانها، وتصل بأن ليس أوانها.

فندق حلب السياحي

كان الأمر الصادر عن القوات الأمنية بمرافقة مفرزة شرطة للعجلة التي تقلنا باتجاه منفذ القائم الحدودي، وبالفعل تحقق ذلك وكان ملازم منصور من الشرطة الاتحادية يقود المفرزة، وما أن وصلنا إلى مدخل المنفذ، منعت المفرزة وضابطها من قبل عناصر الجيش المنتشرة هناك، والذريعة الدائمة هي الأوامر بالطبع.

استدارت عجلة الشرطة ومعها استدار عزم تفاؤلي ١٨٠ درجة باتجاه الإحباط، بعد أن طلب منا الضابط منصور الرجوع الى المجلس البلدي للبحث عن سبيل لتحقيق غايتنا.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحا، ومع عجالة دوران ميل الساعة، كانت تسابقه خطوات اللهفة بضرورة اللقاء، اتصلت بمن اعرف، وكذلك زميلي محمود الذي افلح بمعرفة مكان مبيت وتجمع الإعلاميين وهو فندق حلب السياحي، الملاذ الوحيد لأي زائر لتلك المدينة.

بداية رحلة العمل والأمل

توجهنا إلى هناك والتقينا ببعض الإعلاميين من وكالات وفضائيات مختلفة، ومن هناك بدأت رحلة العمل والأمل هو الاطلاع على حقيقة ما يجري.

الانطباع السائد الذي يتولد عند أي زائر لقضاء القائم، هو ان المدينة عن بكرة أبيها في حالة استنفار قصوى لخدمة اللاجئين بكل ما أتيت من جود وغيرة ومحبة عراقية خالصة، نعم هذا ما لاحظناه من خلال حديث قيس العاني أو مهند العاملين في حقل الإعلام، شابان من القائم يتسابقان في تقديم خدماتهما شأنهما شأن شباب القضاء.

اتصل قيس تلفونيا بأحد ضباط الجيش طالبا منه بأن يسمح له كممثل عن فضائية الانبار بزيارة مراكز تجمعات اللاجئين، التفت لنا قائلا سيأتي مقدم فلان بعد ساعة لزيارة المركز وسندخل معه، مضيفا "انتم ستدخلون معي بصفتكم كادر من الفضائية، وافقناه مجبرين وقلت مع نفسي المهم أن ندخل تحت أي مسمى ونحقق ما جئنا من اجله.

مع قوافل المتبرعين

"لماذا لا نستغل الوقت ونذهب للقاء قافلة للمتبرعين قادمة من قضاء راوه؟"، هذا ما قاله قيس لنا وتوجهنا إلى موقع القافلة، فكان المشهد أكثر من رائع ويدعو للزهو والتباهي، شيب وشباب يتسابقون وهم صائمون في إنزال البضائع من عجلات حمولة كبيرة إلى مركبات اصغر ، وهذه بدورها تقوم بنقلها إلى مخازن جمع التبرعات الذي استحدثته الأزمة السورية.

صديق كريم محمد من أهالي راوه معلم في إحدى مدارسها يقول قمنا بجمع التبرعات من الذين قاموا بذلك طواعية، موضحا بأنه يمتلك سيارة حمولة كبيرة هي التي قامت بنقل البضائع مجانا، فضلا عن قيامه بالتبرع بمبلغ مالي لصندوق اللاجئين، وعن المواد التي تبرع بها المواطنون، بين محمد بان أهالي راوه تسابقوا في تقديم المواد الغذائية بمختلف أنواعها، وكذلك مواد منزلية من معدات طبخ وفرش نوم وسجاد، ومبالغ نقدية، مضيفا بان العديد من النساء قمن بالتبرع بمصوغاتهن وحليهن الذهبية والفضية.

جامع الإمام علي

وبشأن الجهة التي تقوم بجمع التبرعات يوضح محمد أن جميع المواد والأموال النقدية وكذلك المصوغات تودع عند شيخ جامع الإمام علي بن أبي طالب الكائن في حي القادسية التابع لقضاء راوه، ثم يقوم الشيخ مع الأهالي بنقلها إلى مركز التبرعات في القائم، ويضيف محمد أن ما يفرح ويسر هو هذا التسابق بين أقضية ونواحي الانبار في تقديم التبرعات لإخوتنا السوريين.

سألنا محمد هل قام بزيارة اللاجئين وعرف منهم شعورهم بما يصلهم من تبرعات، قال

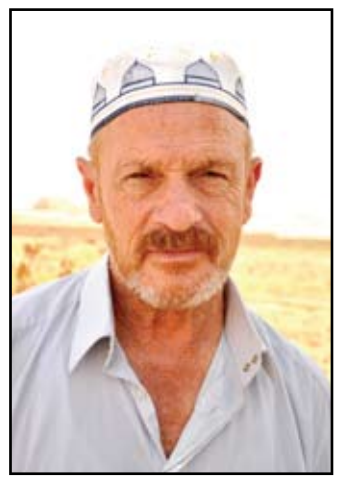
صديق كريم محمد

للأسف أن قوات الجيش تفرض طوقا امنيا على مواقع إقامة اللاجئين وترفض الزيارة لهم أو الحديث معهم، والسبب هو تحوطات أمنية، مضيفا أن أهالي راوه قاموا بإخلاء العديد من المنازل لغرض استقبال الإخوة السوريين، وكذلك تهيئة اغلب المدارس لهذا الغرض من اجل تخفيف الزخم والعبء على قضاء القائم، بالإضافة الى القيام بدورنا كعراقيين اتجاه إخوتنا السوريين، لنرد لهم أفضال ما قاموا به اتجاه اللاجئين العراقيين أيام محنتهم، لكن تفاجأنا بهذه الإجراءات التي جعلتنا نحن قبل اللاجئين نشعر بأنهم داخل سجن، بحسب قوله.

الشيوخ ساعدوا اللاجئين

وعن أسباب ومبررات تلك الإجراءات، يقول محمد إن الحكومة المركزية كانت رافضة منذ البداية دخول اللاجئين السوريين، وجاءت استجابتها لهذا المطلب الشعبي رضوخا عند مطلب شيوخ عشائر الرمادي، الذين ناشدهم الشعب السوري ضرورة التدخل ومخاطبة الحكومة بالسماح لهم، وتحقق ذلك ونتمنى على شيوخ الرمادي إكمال دورهم في إخراج اللاجئين من هذا الوضع، خاصة وان اغلبهم من أصول عشائر الرمادي كما يقول محمد.

إمام وخطيب جامع الإمام علي بن أبي طالب ورئيس مجلس علماء العراق في راوه عبد الله علاوي حسين الذي وجدناه يحمل البضائع بنفسه مع المتبرعين يقول في البداية نرحب بإخوتنا القادمين من سوريا ونقول لهم بان الشعب العراقي رجالا ونساءً شيبا وشبابا، وحكومة وشعبا نقف معكم، بكل ما نملك إلى أن تحين لحظة الفرج بإذن الله، ويبين حسين بان أهالي راوه شأنهم شأن أبناء الانبار قاموا بجمع التبرعات من خلال ثلاثة مراكز تم إنشاؤها داخل قضاء راوه، ذاكرا تنوع مواد التبرع فهناك من تبرع بمواد غذائية، ومن جاء بمواد منزلية والكثير من النساء تبرعن بحليهن الذهبية وهذا فخر للمرأة العراقية.

الشيخ عبد الله علاوي حسين

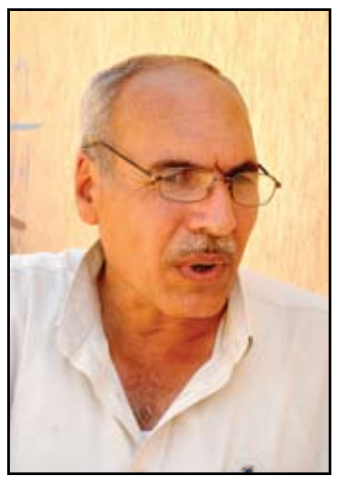
بهجت خليل عثمان

اغلبهم من أصول عراقية

ويرى إمام الجامع انه من واجب الحكومة العراقية أن تقوم بدورها في دعم ومساعدة الإخوة السوريين، وكنا نتمنى من الحكومة أن تحذو حذو المواطنين في إسناد اللاجئين بكل شيء، موضحا بان المناطق الشرقية كمدينة البوكمال وغيرها اغلب سكانها من أصول عراقية، ومن واجب كل عراقي إيواء تلك العوائل، مناشدا الحكومة السماح للمواطنين العراقيين باستضافتهم ،وهذا ابسط شيء نقدمه لإخوتنا في هذا الشهر الفضيل بحسب قوله.

قيس العاني الذي بذل كل ما في وسعه من اجل مساعدتنا ونجاحنا في مهمتنا، طلب منا التوجه إلى منفذ القائم الحدودي لوجود من يساعدنا في دخول المنفذ الذي كان قبل يوم، ممر سهل ومسموح الدخول له، كما ذكر لنا مهند وهو احد أقرباء قيس الذي رافقنا بجولتنا تلك، بل قال اننا بالامس استطعنا تجاوز الحدود والدخول لمنطقة البوكمال، ورؤية عناصر من الجيش السوري الحر، الذي سيطر على المنفذ ثم قام بتسليمه إلى موظفين مدنيين سوريين في المنفذ.

تسابق من اجل التبرع

أثناء توجهنا الى مركز القائم الحدودي شاهدنا العديد من قوافل التبرعات المحملة بشاحنات كبيرة، وقد خطت عليها لافتات تشير الى الجهة المتبرعة، فبعضها كانت باسماء شيوخ والبعض الآخر باسماء مواطني واقضية محافظة الانبار، ونحن في الطريق جاءتنا اخبار تشير الى وجود قوافل تبرع قادمة من العاصمة بغداد، واخرى قادمة من محافظة النجف، قلت مع نفسي ونشوة السرور تكاد تفضحني "ما اجملك يا عراق، وما ابهى شعبك حين توحده المحن، وخابت مساعي الفتن".

دخلنا من طريق تحاشينا فيه المرور على السيطرة العسكرية التي اعاقت دخولنا في البداية، لنجد انفسنا مباشرة امام الوافدين من هذا المعبر.

سيطرة الجيش الحر

اللاجئ العراقي عدي عطية عباس القادم هو وعائلته من الاراضي السورية قال: ان ما تقوم به كوادر المنفذ من جهود تستحق منا الثناء والتقدير، مبينا انه لم يواجه اية معوقات او متاعب عرقلت وصوله، بل العكس وجد ما يسر ويثلج الصدر من ترحاب وحسن ضيافة من القوات العراقية وموظفي كمارك الحدود.

وعن المدينة السورية التي يقيم فيها ومن هي الجهات التي ساعدته على الوصول، يقول عباس انا والعائلة من سكنة مدينة البوكمال، وبعد اشتداد عمليات القصف العشوائي على المدينة، قمنا بمغادرة المدينة، ومن ساعدنا في ذلك هو الجيش الحر الذي قام بايصالنا الى المنفذ، ووجدنا الجيش العراقي الذي ازال كل المعاناة عنا باستقباله الرائع كما يبين عباس.

البو كمال والوضع المأساوي

وعن الاوضاع في سوريا اكد عباس انها اوضاع سيئة جدا، لكن وجود الجيش الحر في مدينتنا هو من ساعدنا في الخروج من ذلك المأزق لكونه مسيطرا سيطرة تامة على هذا المنفذ الحدودي وكذلك حدود مدينة البوكمال.

وبشأن اللاجئين السوريين، يرى بان اوضاعهم سيئة جدا، وهم ينزحون بشكل كبير، للخلاص من وضع مأساوي تعيشه المدينة، وقوات الجيش العراقي تبذل مساعيها في سبيل مساعدتهم، لكن ما يعرقل انسيابية دخولهم هو عدم وجود جوازات عند البعض او عدم امتلاكهم اوراق اثبات الشخصية كما ذكر عباس.

سلامة أطفالي أولاً

إحدى العوائل السورية وهي في طريقها إلى المنشأة التي ستقلها الى مراكز الإيواء، بينت لـ"المدى" أن العديد من العوائل السورية، التي وصلت الى مركز القائم الحدودي رفضت تاشير اوراقها وعادت باتجاه الاراضي السورية، وبينت ربة العائلة ام احمد ان سبب عودتهم هو وصول اخبار لهم بان العوائل السورية قد تم احتجازهم في القائم كسجناء وليس لاجئين، وحين سألناها عن سبب دخول الاراضي العراقية على الرغم من معرفتها بتلك الانباء، قالت اتحمل الذل والسجن واي تصرف مهين من اجل سلامة اطفالي، لان البقاء في مدينة دير الزور يعني الانتحار بسبب القصف العشوائي المستمر من قبل قوات بشار الاسد كما تقول ام احمد.

المفطح والدليمية

تركنا المنفذ وتوجهنا صوب المركز الذي وعدنا بدخوله، وصلنا الى هناك، فوجدنا حشود من الاهالي مجتمعة عند باب المركز الذي هو عبارة عن بناية لإعدادية العنقاء للبنين، عرفت ان هؤلاء المواطنين هم من اقرباء اللاجئين وجاءوا لمواجهتهم، ولكن قوات الجيش ترفض ذلك بناء على اوامر عليا صدرت لهم عن الحكومة المركزية كما يقولون.

كانت الساعة تشير الى الواحدة ظهرا تقريبا، وجاءت سيارة بيك آب وحافلات حمولة اخرى وهي محملة بموائد الطعام، "المفلطح، الدليمية، الفواكه، عصائر، قناني الماء.. وو... وتعددت الاشكال والجود واحد"، نعم انه جود اهالي القائم بشيوخ عشائرهم بعوامهم يتنافسون على البر والتقوى في الشهر الفضيل، يطبخون وجبات السحور والفطور الصباحي لغير الصائمين واغلبهم من الاطفال، وكذلك الغداء، فضلا عن فطور الصائمين من عوائل اللاجئين، انه مشهد يبين للعالم اجمع ان العراقيين لا يتخلون عن قيمهم وتقاليدهم ونبلهم في اقسى الظروف، فكانوا اهلا لتلك المسؤولية، ومصدر تباه لكل من يؤمن بحقيقة راسخة هي ان هذا الشعب لم ولن يموت.

البحث عن عائلة شقيقه

بهجت خليل عثمان احد الواقفين عند باب المركز قادم من قضاء الفلوجة لمواجهة عائلة شقيقه المقيم منذ عشرات السنين في مدينة البوكمال لكنه لم يفلح فأصبح في موقع اتهام من قبل شقيقه الذي يتهمه بالتقصير، يقول منذ يومين وانا ابحث عن عائلة شقيقي وبعد جهود واتصالات وجدتها اليوم في المركز الصحي الذي اصبح مركزا لايواء اللاجئين، ومع ذلك لم يقابلهم لغاية الان كما يقول عثمان، موضحا بان اغلب العوائل الموجودة الان هي من عشائر عراقية معروفة، ولهم اقرباء من الدرجة الاولى في محافظة الرمادي، ومن المفترض ان تكون هذه العوائل في بيوت اهاليها من العراقيين وليس في داخل هذه المراكز كسجناء، واوضح عثمان بان شقيقه على اتصال مستمر معه بشان عائلته واحيانا يتهمنا بالتقصير لانه غير مصدق بان الحكومة العراقية تحتجز عائلته وترفض ان نواجهها، موضحا بان عائلة شقيقه مكونة من الزوجة وطفل رضيع وثلاث بنات، علما انهم يحملون الجنسية السورية فقط، ويؤكد عثمان ان اغلب العوائل الساكنة في المناطق الحدودية، هي اما تحمل جنسيتين سورية وعراقية ام جنسية واحدة.

وناشد عثمان الحكومة العراقية الاسراع في إيجاد الحلول لتلك العوائل، من خلال الموافقة على قبول استضافتهم عند اقربائهم مقابل كفالة رسمية من قبل المتسلم، وأبدى عثمان استعداده لتقديم كفالة بمبلغ نقدي تحدده الحكومة مقابل ضم عائلة شقيقه الى أفراد عائلته التي تنتظرهم بفارغ الصبر كما يؤكد عثمان.

ونحن نتحدث مع عثمان انطلقت أصوات من داخل المركز، تبين لنا أنها تظاهرات تقوم بها العوائل السورية احتجاجا على إجراءات الحجز، ومنع المواجهة عنهم أو الاتصال بذويهم، لم نفهم ما كانت الشعارات التي يرفعونها، ولكن كانوا يذكرون المسؤولين العراقيين بأيامهم عندما كانوا لاجئين في سوريا، وهل عاملهم السوريون كما يعاملون هم الآن.

استطعنا إقناع احد الضباط الذي أبدى تعاطفه معنا، ومساعدتنا بالدخول لمركز إيواء اللاجئين، لكنه اشترط علينا في حالة وصول آمره للمركز مع وجودنا، الادعاء بعدم معرفته بكيفية دخولنا، واتهامنا بأننا دخلنا من سياج المركز، وافقنا على الشروط ودخلنا لنكون بمواجهة تلك العوائل المنكوبة.

■ ***غدا حوارات خاصة لـ"المدى" مع عوائل اللاجئين السوريين.***

الاوضاع في سوريا سيئة جدا، لكن وجود الجيش الحر في المدينة هو من ساعدنا في الخروج من ذلك المأزق لكونه مسيطرا سيطرة تامة على هذا المنفذ الحدودي

عند المنفذ الحدودي